الخطبة رقم ٢٦

الوقت

إن الحمد لله ... أما بعد:

فمعاشر المسلمين: خلق الله الزمان، وجعله ظرفا لجميع شئون العباد، نوه الله تعالى على عظيم شأن الزمان في مواضع كثيرة من كتابه العظيم، تبيانا لجليل أمره: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون❖ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم❖ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم❖ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون❖" "وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا❖"

معاشر المسلمين: ومن عظيم شأن الزمان؛ إقسام الله به في غير آية:"والعصر❖ إن الإنسان لفي خسر❖" "والضحى❖والليل إذا سجى❖" "والشمس وضحاها❖والقمر إذا تلاها❖والنهار إذا جلاها❖والليل إذا يغشاها❖" "قل أريتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون❖ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون❖ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون❖"

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:(يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، الذين لا قوام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولسئمته النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى:"من إله غير الله يأتيكم بضياء" أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه "أفلا تسمعون". ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سرمدا أي: دائما مستمرا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وقلت من كثرة الحركات والأشغال، ولهذا قال تعالى:"من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه" أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم...) إلخ ما قال رحمه الله تعالى.

معاشر المسلمين: لكل عبد أجل، ولكل أجل كتاب، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون.

معاشر المسلمين: إن هذه الأيام التي تتوالى علينا صباح مساء هي مراحل أعمارنا وآجالنا.

تمر بنا الأيام تترى وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر

ويقول الآخر:

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهن مراحل

ويقول الآخر:

وإنا لفي الدنيا كركب سفينة تظن وقوفا والزمان بها يجري

يجري بها الزمان بأمر الله تعالى.

يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى:(يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك).

معاشر المسلمين: إن العاقل من تفكر في أمره، ورأى أن تصرم أيامه مؤذن بقرب رحيله، طال عمره أو قصر، فاحتاط لأمره، واجتهد في يومه، واستعد لغده.

قال علي رضي الله تعالى عنه:(ارتحلت الدنيا مدبرة، وجاءت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل بلا حساب، وغدا حساب بلا عمل.

معاشر المسلمين: إن أوقاتنا من أعظم نعم الله تعالى علينا، إن نحن سخرناها في طاعة الله، وجعلناها مطية للتزود من الطاعات والخيرات. كما أنها قد تكون نقمة عظيمة علينا، إن لم نلق لها بالا، وصرفناها فيما لا يرضي الله تعالى. تلك الأوقات وديعة وأمانة سنسأل عنها (ولابد يوما أن ترد الودائع).

عن أبي برزة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه..." الحديث، أخرجه الترمذي.

معاشر المسلمين: كثير من الناس تمر عليهم الأيام والشهور، بل حتى الأعوام، لا يدركون ثمرتها، ولا يقدرونها قدرها، فهم مغبونون فيهما، كما وصفهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله:"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" أخرجه البخاري.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى:(قوله صلى الله عليه وسلم:"كثير من الناس" أي: إن الذي يوفق لذلك قليل).

معاشر المسلمين: ولقد ظهر مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم في حال كثير من الناس اليوم، ولعل خير شاهد لذلك: مجالس كثير من الناس، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة" أخرجه أبو داود والحاكم.

قال بعض الشراح عند قوله:"عن مثل جيفة حمار": (أي: مثلها في النتن والبشاعة، لما صدر منهم من رديء الكلام ومذمومه شرعا، إذ المجلس الخالي عن ذكر الله إنما يعمر بما ذكر ونحوه، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!) إلى آخر كلامه.

معاشر المسلمين: كم من المجالس يطول المكث فيها ساعات طوال، تخلو من ذكر الله تعالى؟ وكم من المجالس يسهر أهلها أمام القنوات الهابطة الماجنة، التي تحارب الله ورسوله صباح مساء. وكم من المجالس تضم بين جنباتها مجلات فاجرة ساقطة، يقلب أصحاب تلك المجالس أوراقها ويتصفحون صورها؟ وكم من المجالس من يعمرها أصحابها بفعل فلان وقال فلان، وكان فلان، غيبة ونميمة وتفكها في أعراض المسلمين.

معاشر المسلمين: ألا فليتق الله تعالى من كان هذا من شأنه، وليعلم أنه مسئول عن تفريطه ومحاسب عليه. اللهم بارك لنا في أوقاتنا، وبارك لنا في أعمارنا، وبارك لنا في أموالنا وفي جميع شئوننا.

الخطبة الثانية

الحمد لله...

معاشر المسلمين: إذا كان العبد مسئولا عن مجلس جلس فيه ساعة من نهار، فإن كان مجلسه خاليا من ذكر، كان في الدنيا كمن قام عن جيفة حمار، وكان في الآخرة حسرة عليه، فكيف بمن يقضي ساعات – بل أياما كثيرة- في بلاد الكفر، لم يسافر لأمر لابد منه، كتجارة وعلاج وما شاكله، وإنما سافر لأجل التنزه والتروح؟.

معاشر المسلمين: إن مما عمت به البلوى، وظهر أثره بخاصة في الإجازات؛ كثرة السفر إلى بلاد المشركين، ومما زاد الأمر بلاء وشدة أن يسافر الوالد بأهل بيته، فيمكثون الأيام الكثيرة، حتى أصبح ذلك مدعاة للتنافس والتباهي في عدد غير قليل من الناس! يسافر أحدهم يمنة، والآخر يسرة، فإذا رجعوا أخذوا يتبارون فيما رأوا، وفيما سمعوا. يا سبحان الله! ألهذا الحد وصل مبلغ همهم؟!.

معاشر المسلمين: إن اعتزاز المسلم بدينه من أعظم الأمور تميزا للمرء المسلم عن غيره، فدين الإسلام أعظم الأديان السماوية، وأهل الإسلام أعظم الناس قدرا، وأعلاهم منزلة.

معاشر المسلمين: إن من مظاهر الذل والضعف والخور أن ترى المسلم مشدوها منجذبا إلى السفر إلى بلاد الكفار، موافقا لهم في بعض عاداتهم وتقاليدهم، بل ويرى ذلك من مظاهر التقدم والتحضر! يخجل من إظهار شعائر دينه، زعما منه أنه لو أظهرها لكان محط أنظارهم، وعرضة لنقدهم، فتراه مثلا إذا حضرت الصلاة بحث عن أخفى مكان لا تراه فيه الأبصار!

معاشر المسلمين: إن خطورة السفر إلى بلاد الكفار يتضح أثرها في مواطن كثيرة، فمن ذلك – وهو أعظمها- : تعريض دين المرء جملة إلى الانحلال، فأعداء الإسلام لا يرقبون في أهله إلا ولا ذمة، بل يسعون جاهدين إلى إخراج المسلم من دينه بكل وسيلة تمكنهم من ذلك:"ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم"، "ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم" "ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء". "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا".

ومن محاذير السفر إلى بلاد المشركين: ضعف الوازع الشرعي، وقلة الغيرة، لكثرة ما يشاهد ويسمع من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، بل قد يصل الحال ببعض المسلمين إلى الرضا، بل والمشاركة في بعض منكراتهم، حتى يكاد أن يتشرب قلبه من محبتهم والإعجاب بهم، وهنا مكمن الخطر وزلة القدم، قال صلى الله عليه وسلم:"من تشبه بقوم فهو منهم".

معاشر المسلمين: ومن محاذير السفر إلى بلاد القوم أيضا: دعم اقتصاد أولئك الكفرة، فكم درت عليهم ثروات المسلمين بسبب السياحة الموهومة، وكم سخرت تلك الأموال في عداء الإسلام وأهله.

معاشر المسلمين: إن مما ساعد وشجع وأعان على السفر إلى ديار أولئك: ما تبثه تلك القنوات من الدعايات المزعومة باسم السياحة، وكذا ما تبثه من الأفلام البالغة في الخسة والدناءة، مما يهيج في نفوس بعض الناس الإقدام على الشهوات المحرمة.

يضاف إلى أولئك: بعض المسلمين الذين يسترزقون أموالهم من خلال نشر الدعاية للسفر إلى بلاد الكفر، والترويج لذلك. ألا فليتقوا الله تعالى، وليعلموا أنهم ممن دعا الناس إلى ضلالة، ويشملهم قوله صلى الله عليه وسلم:"... من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا" أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.